التكاليف الشرعية ابتلاء وامتحان

جعل الله تعالى الدّنيا دار ابتلاء وامتحان، يبتلي عباده بالخيرِ والشّرِّ، ويمتحنهم بالغنى والفقر، ويختبرهم باليسر والعسر، ليمحّص المؤمن من الكافر، والمطيع من العاصي، والمُحِقَّ من المُبْطِلِ، ويميز الخبيث من الطّيّب.

قال الله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿35﴾﴾ [الأنبياء: 35].

وقال في آية أخرى: ﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: 179].

ومن الابتلاء ما كلّفنا به من تكاليف شرعية كالصّلاة والزّكاة والصّيام والحجّ، لما فيها من تعب ومشقّة؛ فمن امتثل للأمر واستجاب للنّداء وصبر وصابر، جوزي الجزاء الأوفى ونال الحظ الأوفر والنّصيب الأكبر من الرّضى والسّعادة.

ومن تخلّف عن أداء الواجب وضيّع الفرض وترك الطّاعة، جوزي بالهجر والقطيعة والحرمان، وعوقب بالشّقاء والخذلان، وأُذيق عذاب الحريق بسبب الفسوق والعصيان.

قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿97﴾﴾ [النحل: 97].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: 30].

وكتب رجل إلى صالح بن عبد القدّوس:

الْمَوْتُ بَابٌ وَكُلُّ النَّاسِ دَاخِلُهُ ... فَلَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ الْبَابِ مَا الدَّارُ

فأجابه بقوله:

الدَّارُ جَنَّاتُ عَدْنٍ إِنْ عَمِلْتَ بِمَا ... يُرْضِي الْإِلَهَ وَإِنْ خَالَفْتَ فَالنَّارُ

هُمَا مَحَلَّانِ مَا لِلنَّاسِ غَيْرُهُمَا ... فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ مَاذَا أَنْتَ مُخْتَارُ